قضية فلسطين عند أبي الحسن الندوي ومحمد إقبال (دراسة مقارنة)

The issue of Palestine in the view of Abu-al-Hasan al-Nadawi and Muhammad Iqbal (Comparative study)

Muhammad Aamir
PhD. Research Scholar Department of Arabic
University of Peshawar
Email: Mohammadamir0341@gmail.com
Dr Yaqoob khan Marwat
Ex. Professor Department of Arabic
University of Peshawar

Abstract
Abu al-Hasan Ali al-Nadawi and Muhammad Iqbal are important figures in Islamic history, and they showed interest in the Palestinian cause and adopted similar positions towards it.
Abu al-Hasan Ali al-Nadawi, the prominent Islamic thinker and religious scholar, looked deeply at the issue of Palestine. He saw it as more than just a territorial dispute, but rather an issue that represented cohesion between monotheistic religions and was affected by world politics. He called for the unity of the nation, renunciation of bloody conflicts, and interest in the Palestinian cause as a challenge to Muslims. He showed his solidarity with Palestine by visiting Jerusalem and expressing his position with sympathy and support.
On the other hand, Muhammad Iqbal, the poet and philosopher, was promoting Islamic awareness and adherence to Islamic values. He expressed his concern about the influence of the Zionists and settlements on Palestine, and stressed the importance of resisting them and defending the land. He described the Jews in a poetic manner as locusts that devastate and drain, and this is evident in his representation of their attempts to illegal immigration and their seizure of the land.

مقدمة:

تعتبر قضية فلسطين من أهم القضايا التي ألهمت العديد من الشخصيات البارزة في العالم الإسلامي والثقافي. من بين هؤلاء الشخصيات، تبرز اسمي "أبي الحسن علي الندوي" و"محمد إقبال"، اللذان تفرّدا بالتعبير عن رؤى متشابهة حول قضية فلسطين وأهميتها الدينية والثقافية. يجمع بينهما الشغف بدعم فلسطين والدفاع عنها بطرق فريدة، ما يشكل مضموناً غنياً لتحليل تلك الرؤى والتفكير فيها.

أبو الحسن علي الندوي:

أبو الحسن علي الندوي (1914–1999م) مفكر إسلامي وداعية هندي، كان له دور بارز في تشكيل الفكر الإسلامي المعاصر. وُلِد في الهند وترعرع في بيئة القرآن والحديث فنبت نباتا حسنا، وله إسهامات

علمية أدبية إسلامية التي كان لها تأثير كبير في نشر الفكر الإسلامي. من بين قضاياه الرئيسية كانت قضية فلسطين، التي اعتبرها أكثر من مجرد نزاع على الأراضي. كان يروّج لفهمها كقضية دينية تتداخل مع القيم الثقافية والسياسية.

محمد إقبال:

محمد إقبال (1877-1938م) الشاعر المشرقي والفيلسوف الهندي، يُعتبر واحداً من أعظم العقول في تاريخ الفكر الإسلامي. وُلِد في سيالكوت في إقليم بنجاب باكستان وتربى في بيئة مشبعة بالثقافة والعلم. كرّس حياته للنضال من أجل التحرر والتقدم الإسلامي. كتب شعرًا رمزيًا قويًا، وكان له تأثير كبير في تعزيز الوعي الإسلامي والدفاع عن الهوية الثقافية.

أهمية القضية:

تُعد قضية فلسطين أمرًا ذو أهمية بالغة بالنسبة للعالم الإسلامي بسبب قدسية المقدسات الإسلامية في القدس، وتاريخها وهويتها، وكذلك لمكافحة الظلم والاستعمار، وتعزيز التضامن والوحدة الإسلامية، وتأثيرها على السياسة والإعلام، وتعبيرها عن قيم الإنسانية والعدالة.

قضية فلسطين في رؤى أبي الحسن علي الندوي ومحمد إقبال تمثل تحديًا للعقول والقلوب. يُظهر تحليل الرؤى المتشابهة لهذين العالمين كيف ألهمت قضية فلسطين الجميع بروح التضامن والمقاومة. على الرغم من تفرّدهما في الأسلوب، إلا أن توجهاتهما واحدة في تأكيد أهمية الوحدة الإسلامية والإنسانية لمواجهة التحديات.

قضية فلسطين عند الندوي:

إن قضية فلسطين لا تقتصر على صراع أراضي أو شعوب فقط، بل هي قضية ذات طابع اعتقادي وفكري نظري بين الأديان السماوية الكبرى. إنها أيضًا قضية استراتيجية سياسية وجغرافية تتأثر بمصالح القوى العالمية الكبرى، حيث تُعَدُّ بالنسبة للمسلمين تحديًا هامًا وحاسمًا يمتد عبر تاريخهم. إنها محنة جسيمة تستدعي تفكيرًا شاملاً وحلولًا متوازنة لتحقيق السلام والاستقرار في المنطقة وعبر العالم.

الشيخ أبو الحسن الندوي كان رائدًا في دعوة الإصلاح ونشر الحق في الفكر الإسلامي الوسطي السمح. كان ملتزمًا بالقضية الفلسطينية، حيث قام بجولات دعوية وفكرية مع الشيخ محمد العربي لتوعية الناس ونبذ الضوضاء والصراعات الدموية التي كانت تعصف بفلسطين في تلك الفترة المؤلمة بين 1934هـ و1939هـ.

كان قلبه ينبض بالشغف لقضية فلسطين، وكان يوليها اهتمامًا كبيرًا. وعندما منع المسلمون من أداء صلاة الجمعة في المسجد الأقصى المبارك، أبدى حزنه وألمه بكل صدق. لم تكن هذه الجمعة سوى مظهرٍ من

مظاهر الألم والحزن العميق الذي عم كل المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وكان للشيخ الندوي دورٌ بارزٌ في توجيه الانتباه إلى هذه القضية وتأكيد أهميتها بين أتباعه.

إنه كان رمزًا للتعاطف والتضامن مع القضايا العادلة، ومثالًا للعمل الدعوي والاجتماعي النبيل في سبيل تحقيق العدل والسلام في المنطقة والعالم. كانت جهوده الدعوية والإصلاحية ملهمة وستظل بصماته خالدة في تاريخ الإسلام والحركة الإصلاحية العربية[1].

في زيارته للقدس والمسجد الأقصى المبارك في عام 1951هـ، تعرّف الشيخ الندوي بنفسه على قضية فلسطين عن كثب. قضى أيام رمضان واحتفل بعيد الفطر هناك والتقى بكبار العلماء والقادة، مما أتاح له فهم الحقائق الدقيقة للموقف. في كتابه "في مسيرة الحياة"، وصف مشاهداته بأنها مدركة ودقيقة.

اعتبر الشيخ الندوي أن قضية فلسطين كانت عبارة عن مسرحية تمثيلية تُدَار من قبل الإنجليز وأصدقاؤهم. وكان الممثلون في هذه المسرحية الملوك العرب وحكوماتهم، وظهرت هذه المسرحية على منصة فلسطين لتحقق مؤامرات بريطانيا واليهود، اللذين زرعا الفتنة في أوساط العالم العربي والإسلامي. وفي نظره، كانت الحكومات العربية وقادتها والجامعة العربية المسؤولة الأولى عن تساقط دماء فلسطين، وكان يبكي على هذه الحالة المخزية التي تعرضت لها القضية.

إن كلمات الشيخ الندوي تعبر عن تحريه للحقيقة واعترافه بالمسؤولية المشتركة للدول العربية في مصير فلسطين، وتجسدت رؤيته الواضحة للتلاحم والوحدة العربية والإسلامية كوسيلة لمواجهة التحديات التي تواجهها المنطقة.[2]

الشيخ الندوي كان شخصية عبقرية استوعبت القضية الفلسطينية بكل تعقيداتها ومفارقاتها، ونظر فيها بعمق وفهمها على ضوء سنن الله في الخلق والحياة، ومن خلال دراسة القرآن وقصص الأمم وسنة الله في رفع وخفض الأقوام. ما كتبه ونقله الشيخ عن هذه القضية كان مصدرًا للإرشاد والتوجيه للأمة، وعكس فكرًا سليمًا يضع بين يديها الحلول الناجعة.

كان اهتمام الشيخ بقضية فلسطين عميقًا وشاملًا، حيث كتب وحاضر وأوضح وحذر منذ قبل قيام دولة إسرائيل وبعدها. وعندما حدثت نكبة حزيران عام 1967، هزت الأمة المسلمة وجعلت قلب الشيخ يمتلئ بالألم والأسف والمرارة والحزن والقلق. لذلك بدأ يكتب ويقدم محاضرات في مختلف أنحاء العالم الإسلامي لنصح الأمة وتوجيهها، ورؤيته كانت مهمة كبيرة ومسؤولية عظيمة.

نظرة الشيخ الندوي إلى القضية:

كان الشيخ الندوي ينظر إلى قضية فلسطين على أنها قضية إسلامية محورية وأساسية للأمة العربية والإسلامية. كان يؤمن بأن عليهم أن يضحوا ويتضحوا من أجل هذه القضية، وأنهم يجب أن يتجاوزوا

الأيديولوجيات المستوردة والزعامات المتألهة والشعارات الحزبية التمزيقية.

كان يعتبر هذه القضية ليست قضية شخصية تعتمد على قائد أو زعيم واحد، بل هي قضية تجمع وترتبط بمصير الحكومات العربية ومكانتها. كان يرى أن هذا الإخفاق الذريع للعرب في مواجهة القضية قد تلوث باسم العرب الذي كان يحمل تاريخاً مجيداً من العزة والكرامة في العالم.

تعامل الشيخ الندوي مع قضية فلسطين على أساس رؤية إسلامية متعمقة، حيث رآها نتيجة إلهية للخيانة للإسلام وعقوبة للعرب بسبب انحرافهم عن القيم الإسلامية. ولم يكن هذا الأمر بمجرد ابتلاء عادي أو ظلم متفرد، بل كانت كارثة تطال العرب وكل بلادهم.

وأدرك الشيخ الندوي أن خطر اليهود لن يقتصر على فلسطين فقط، بل سيمتد إلى العرب وبلادهم كافة، لذا كان يدعو للوحدة والصمود لمواجهة هذا التحدي الكبير. كان يُسلط الضوء على أهمية قضية فلسطين وكرامتها وشرفها، ويعتبرها مفتاحاً للحياة والموت للأمة العربية والإسلامية.

في نظرات الشيخ وتحليلاته يتجلى أن نكبة فلسطين لم تكن مفاجأة فحسب، بل تتأثر بعوامل كثيرة، أكثرها داخلية ونفسية. يعتبر الشيخ أن حوادث استيلاء الصليبيين على القدس والتتار والمغول على بغداد والعالم الإسلامي لم تكن مجرد فتات الدهر أو حوادث مفاجئة، بل هي نتيجة طبيعية لسلسلة من الأمراض الخلقية والانحرافات الطائشة والتصرفات الأثيمة، والمغالطات المتصلة بالأوضاع غير الصالحة للبقاء في كل زمان ومكان. بذلك، يرى الشيخ أن نكبة فلسطين هي نتيجة لتراكمات السلوكيات السيئة والأفعال الخاطئة والتصرفات الهدامة التي تجريها الأمة على مر الزمان. وهي تنعكس في عدم رضى الله ورسوله عن الحياة التي يعيشها الناس، وعدم توافقها مع الدين الصحيح والعقل السليم.

تحليلات الشيخ الندوي تؤكد على ضرورة تصحيح المسار وتحصين الأمة بالقيم الإسلامية والنظام الصالح، حتى تتمكن من مواجهة التحديات والأزمات التي تواجهها وتحقق الاستقرار والسلام للأمة ولفلسطين بشكل خاص[3].

كمثل الخبير المطلع، رآى الشيخ الندوي أن القضية الفلسطينية لم تكن غامضة أو ملتوية، بل كانت تحتاج إلى فهم عميق للقرآن وتطلع إلى طبائع الأشياء والاطلاع على الواقع في تلك المنطقة التي تحمل مسؤولية الدفاع عن هذه القضية.[4]

في تلك الفترة الزمنية التي كانت قضية فلسطين غير واضحة وحقائقها لم تكن معلومة بشكل جلي، أدرك الشيخ الندوي هذا النكبة الذي أُريد به للمسلمين واللعبة التي لُعبت ضد أهل فلسطين.

تميز شيخنا الندوي بفهمه العميق للدور الذي لعبته بريطانيا، حيث لم تكن مصلحتها مقتصرة على الانحياز لإنجلترا فحسب، بل كانت وكيلاً لليهود أيضاً. وقد احتلت بريطانيا بعض الأحيان بلداً بمسمى الجيش

الأردني، ثم تركته لليهود، وفي بعض الأحيان كانت تؤخر الجيوش العربية عن المساعدة لفلسطين، حتى يأتي اليهود ويستولوا على المكان[5].

الأسباب التي أدت فلسطين إلى هذه المأساة:

قضية فلسطين تحمل في طياتها الكثير من الأسباب والعوامل التي أدت إلى تكرار النكبات والمحن على الأمة المسلمة، ودفعتها نحو حضيض الذل والهوان، كما أشار الشيخ الندوي في صورته للفلسطينيين خلال إقامته القصيرة. في فلسطين، شهد الفلسطينيون أيامًا صعبة ومؤلمة، حيث وجدت قلوبهم مكسورة ورؤوسهم مطأطأة منكوسة بسبب ما تعرضوا له من مصائب ومحن. وكانت معاناتهم وواقعهم المرير يثيران حزن القلوب وتدميع العيون.

في هذا السياق، فإن قادة الأمة العربية فشلوا في تقديم الدعم والمساعدة اللازمة للفلسطينيين، مما أدى إلى فقدان الفلسطينيين ثقتهم تمامًا بالزعماء العرب وقادة البلاد. لم يستطيعوا تحقيق العدل والحماية المناسبة لشعب فلسطين، ولم يقدموا الدعم المطلوب لقضيتهم المحقة.

هذا الفشل والتقاعس من قبل الزعماء والحكام العرب أدى إلى تفاقم الوضع وزيادة المعاناة، مما جر الأمة المسلمة إلى حضيض الذل والهوان. فالقضية الفلسطينية لم تحصل على الاهتمام والرعاية اللازمة من الدول العربية، مما أثر بشكل سلبي على شعب فلسطين وجعلهم يشعرون بالتخلي عنهم[6].

الشيخ الندوي يؤكد دائمًا على أهمية محاسبة النفوس والتفكير في مواضع الضعف الداخلي، فهو يعتبر هذه النقطة ضعفًا يكمن في الفطرة البشرية. يرى أن النفوس تشعر بالأخطار القادمة من الخارج وتعتبر الأعداء الأجانب مصدراً للتهديد المستمر، ولكنها في الوقت نفسه تتغافل عن الخطر الأكبر والأعمق الكامن في داخل النفوس والقلوب وفي أنماط الحياة الاجتماعية والأخلاق العامة. يشدد على ضرورة التركيز على هذه المصادر الداخلية للخطر والعمل على تحسينها وتصحيحها قبل التفكير في الخطر الخارجي. فقد تكون هذه العوامل الداخلية السلبية هي السبب الرئيسي وراء تراجع الأمة المسلمة ووقوعها في حضيض الذل والهوان. وبالتالي، يدعو إلى التأمل والعمل على تحسين الذات والتحكم في المشاعر والأفكار وتصحيح القيم والأخلاق لتحقيق تطور حضاري وازدهار للأمة المسلمة[7].

فمن أسباب مأساة فلسطين هي:

1. تمرد العرب على الخلافة العثمانية وسقوطها. فعندما يقوم المؤرخون بدراسة تاريخ العرب بصدق وأمانة، يجدون أن اليوم الأشد سوءًا في تاريخ العرب هو الذي شهد تمردهم على الخلافة الإسلامية، وهذه الخلافة كانت تحمي المقدسات بأمانة وحرص. وقد أقترف العرب في ذلك الوقت جريمة فادحة لا يمكن مساواتها بأي جريمة أخرى.
2. ضعف الدافع النفسي والباعث الداخلي إلى الاستماتة والتفاني في سبيل العقيدة والمبدأ.

3. طغيان العقل على العاطفة والحذر من المغادرة واقتحام الأخطار.
4. فقدان الشخصية المركزية التي تملك القضية عليها مشاعرها وتفكيرها، وتصبح همها الشاغل وتستولي عليها استيلاءً كاملاً، ويصبح حالها كحال صلاح الدين الذي وصفه أمين سره القاضي ابن شداد "إنما كان كالوالدة الثكلى التي ذبح ولدها الوحيد في حجرها"، وإنه متى تحل هذه القضية الفلسطينية لا تحل إلا بهذا الطريق، لا عن طريق المؤتمرات والقرارات والمجاملات.[8]
5. الحضارة الغربية والثروة الهائلة التي تدفقت عليها، وتلك هي التي أثرت في أخلاق هذه الأمة العسكرية بالطبيعة والتاريخ.
6. ظهور "القومية العربية" كان له أعمق تأثير في حياة الأمة العربية وعواطفها ومشاعرها بعد الحرب العالمية الأولى و قد نشأ بذلك عقوق بنعمة الإسلام وكنود وكفران بحق محمد صلى الله عليه وسلم وفضله في تكوين هذا العالم العربي وإبرازه من العدم إلى الوجود. وصدق الشيخ الندوي حينما يقول: علينا أن نعترف بشجاعة أن دعوة "القومية العربية" قد أخفقت وافتضحت وأنها كانت "كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابه، والله سريع الحساب".[9]
7. قيام الحكومات العسكرية الدكتاتورية في معظم البلدان العربية وظهور ثورات عسكرية في بعض هذه الدول، سمح لإسرائيل بالترويج لرؤيتها وإيجاد الفجوات والاستفادة من ضعف الوحدة العربية. وفي إحدى إذاعاتها، تحدثت إسرائيل بتلك الكلمات مؤكدة على أن الوقت حان للعمل وليس للكلام وأن الدعاوى الفارغة لا تؤدي إلى شيء.[10]
8. الاعتماد المفرط على القوات الخارجية والاستعانة الدائمة بالعلاقات الودية معها، والرضا بالخذلان والتخلف عن تطوير القوات الداخلية الذاتية، هو ما يحذر منه الشيخ الندوي. يجب أن نعترف بشجاعة أن القوى الأجنبية لا تخدم مصلحتنا الوطنية ولن تجلب لنا الخير، فلنعتمد بالأساس على الله ونثق في إمكاناتنا الداخلية، فالقوة الحقيقية تكمن في إيماننا وقوتنا وشجاعتنا وأخلاقنا وسماتنا الحميدة.[11]
9. عدم الاستعداد الشامل، سواءً ظاهرًا أو باطنًا، وفقدان روح المغامرة والتفاني في سبيل الحق، هو ما يسبب استمرار الأوضاع السيئة في الشرق العربي. لذلك، يدعو إلى تنمية روح المغامرة الأولى في النفوس، وتحقيق القرار الثابت والإقدام على المبادرة بجرأة. فالعزم والقوة الداخلية هما ما يدفعان الإنسان لتحقيق الأهداف دون الالتفات للعواقب المحتملة،[12] و يقول الشاعر:[13]

إِذا هــم لم تــردع عَــزِيمَــة همــه وَلم يَأْتِ مَــا يَأْتِي مــن الْأَمــر هــائــبــا

فيـا لـرزام رشـــحوا بِي مقـدمـا إِلَى الْـمَـوْت خـوضـــا إِلَـيْـهِ الـكـتـائبـا
إِذا هـم ألـق بَـين عَـيْـنَـيْـهِ عـزمـه ونـكـب عَـن ذكـر الـعـواقـب جـانـبـا
وَلم يســتشــر رَأْيـه غير نَفســه وَلم يرض إِلَّا قَـائِم السَّـيْف صـــاحبـا[14]

10. سماح الحكومات العربية بقطع صلة مصر عن فلسطين براً كان من بين الغلطات الكبيرة التي أدت إلى المصائب الفادحة على أهل فلسطين. وفعلت ذلك الجامعة العربية والحكومات العربية، مما أتاح لليهود احتلال الطريق بينهما. وإذا أرادت مصر بالفعل مساعدة أهل فلسطين أو إرسال جيوشها، لم يكن يجب عليها أن تعتمد على الطريق البري.[15]

أسلوب التعامل مع هذه القضية عند الندوي:

في رؤية الشيخ الندوي، تكمن معالجة قضية النهضة والتقدم للأمة العربية في التحلي بالجدية والاعتراف بحاجة البلاد العربية والعواصم العربية لأن تكون دائمًا في حالة الطوارئ، ليلاً ونهارًا. ويدعو إلى ضرورة تجديد الأسلوب واستعادة العزيمة والتصميم للعودة إلى مكانتها السابقة.

وبالرغم من التاريخ العريق للشجاعة التي تميز بها العرب، يشدد على أن الطريق الذي اتبعته الأمة العربية لمواجهة الظلم والطاغوت لم يكن فعالًا ولم يؤتِ ثماره المرجوة. ويجدد الدعوة للعودة من جديد والاعتراف بأن هذا الطريق العقيم والمنحرف لم يكن مفيدًا ولم يحقق الأهداف المطلوبة.

وعليه، يجب على المسلمين والعرب أن يتحلى بالصبر والاستمرارية ويعترفوا بأن الانتصار والقوة والكرامة تكون بنصرة الله وتأييده. وهو يشدد على أنه لا يمكن تحقيق العزة والنجاح إلا بالاعتماد على نصرة الله وبذل الجهد الحقيقي والمعنوي في سبيل التحرر والنهضة. فالعزة والانتصار تكون بعون الله وبالاعتماد على القوة الذاتية والعمل المثابر في مسار تحقيق الأهداف.[16]

في رؤية الشيخ الندوي، يتطلب تحقيق النصر والتغيير للعرب والمسلمين وجود قيادة قوية وراسخة في العقيدة، وذلك من خلال الايمان القوي بوعد الله ونصره، والاعتزاز بقيم الإسلام والتمسك بأخلاقه وآدابه. يشدد الشيخ الندوي على أهمية خلو القيادة من الأنانية والعصبية الجاهلية، وأن تكون مجردة من أي طموحات شخصية أو مصالح ذاتية[17].

هو يعزز الأمل ويوجه الضوء للعرب والمسلمين نحو تحقيق هذا الهدف، ويحفزهم على اقتحام الطريق بحكمة وحنكة. يتحدث إلى علماء دمشق وقادة البلاد ويشدد على أن قضية فلسطين ليست صعبة ومستحيلة، بل هي سهلة وهينة إذا كانوا أحرارًا في تصرفاتهم ومدبرين لسياستهم. يحثهم على أن يكونوا جاهزين للمغامرة والتضحية من أجل القضية، متمردين على الشهوات والمادة، ومصممين على الكفاح والجهاد.

بالاعتماد على الإيمان والقوة الكامنة فيهم، يدعوهم للثقة بنصر الله والاعتماد على قوته فقط. يركز الشيخ الندوي على أن الحرية الحقيقية والنصر تكون من خلال الثقة في الله والعمل المخلص والجهاد الداخلي والخارجي، وعدم الانشغال بالمصالح الشخصية والاستمتاع بالدنيا. فقط عبر هذا الطريق، سيكون هناك تغيير حقيقي وتحقيق الأهداف المرجوة.[18]

محمد إقبال وقضية فلسطين:

محمد إقبال، الشاعر والفيلسوف الكبير، قاوم بفكره وفلسفته فكرة الدولة الصهيونية بقوة وعزم. رأى في فلسطين بدرة الفردوس وفي الشعب الفلسطيني العزيز قوة الصمود والمقاومة. وصف اليهود بالجراد القميء، إشارة إلى اعتبارهم مجموعة تأكل وتهدم مكان تواجدها. وبالنسبة للإنجليز، رآهم بالتنين الأعمى، يرمز لقوتهم وغطرستهم في السياسة والتحكم.

يعتبر محمد إقبال شخصية رمزية في العالم الإسلامي، حيث كان فيلسوفًا ومفكرًا ومصلحًا اجتماعيًا، وشاعرًا وسياسيًا من الطراز الأول. ركز إقبال اهتمامه على قضايا الإسلام والمسلمين منذ شبابه، حيث تحمل مسؤولية الدفاع عن دين الإسلام ودعم الشعوب المسلمة المضطهدة. عبر عن مواقفه السياسية وأفكاره وفلسفاته التجديدية من خلال قصائده، داعيًا إلى إحداث نهضة حقيقية في العالم الإسلامي.

أنهضت قضية فلسطين والقدس بأهمية كبيرة في قلب محمد إقبال، على الرغم من وفاته قبل نكبة فلسطين في عام 1938. كرس إقبال جهوده ووقته ونضاله لهذه القضية العادلة. عندما بدأت الهجرات اليهودية تتزايد وتهاجر لاحتلال أرض فلسطين الحرة، رأى إقبال ضرورة التصدي لهذه الاستيطانات الاحتلالية التي تهدف إلى الاستيلاء على القدس الشريف وتهويدها بعدما ذاق روحانية الإسلام والإيمان.

عرضه قضية فلسطين في خطباته:

قام إقبال بزيارة الدول العربية مرتين، حيث ألقى خطبتين يجيد فيهما عرض قضية فلسطين في ضوء الحقوق العربية والإسلامية. أعرب عن استنكاره لكل محاولات التهويد التي تسعى إلى تحويلها إلى كيان صهيوني غاشم. واستغرب من فكرة إنشاء وطن ودولة لمجموعة من المشردين الذين ضلوا في الأرض.

إقبال، بتفانيه وعمله، نشر وعيًا عميقًا بقضية فلسطين وأهميتها، ودافع عن حقوق الشعب الفلسطيني ومكانتها العربية والإسلامية. تظل إرثه الفكري والأدبي حجر الزاوية في نضالنا من أجل تحقيق العدالة والحرية لفلسطين والقدس المقدسة.

مقالاته المدافعة عن فلسطين:

في هذا السياق، قدم محمد إقبال مجموعة من المقالات التي تتمتع ببراعة فريدة وكلماته العذبة، ومنطقه السليم، وفلسفته العقلانية، وأسلوبه الجذاب، وحجته القوية، كلها تدافع عن فلسطين وعروبتها وإسلامها. عندما بدأت

الصهيونية العالمية تحصل على دعم من بريطانيا الشائنة لإقامة وطن قومي لليهود في فلسطين، تجد في مقالات إقبال آنذاك أثرًا ساحرًا، وقد كتبت في الأربعينيات وقبل ذلك ونُشرت في جريدة البلاغ في الهند.

تتميز هذه المقالات بتحفلها بصور فنية وأدبية ذات قيمة عالية، وتحمل مضمونًا مثيرًا، وتراكيبًا تثير في النفس جوانب الإعجاب بروعتها وتجعلنا نتأمل في الاستعداد والتضحية والنضال بسبب فظاعة الأحداث وجرم النكبة.

تظل هذه المقالات تعبيرًا فنيًا وأدبيًا رائعًا، وهي معبرة عن المشاعر العميقة والتضحية التي يجب أن تتجسد في مواجهة الأحداث الصعبة والكارثية. إنها أعمال تستحق أن تترجم إلى العربية لتعم الفائدة منها ولتبقى شاهدًا على الروعة والقوة الفكرية لمحمد إقبال.

في إحدى المقالات بعنوان "هجرات غير مشروعة إلى فلسطين"، يقول إقبال: "أنظر يا صديقي، هاجر الجراد إلى درة فردوس الأرض بعد أن عانى جوعًا طويلًا وتشردًا وضياعًا، فقد كان يائسًا ولا يجد من يلتفت إليه لعصور طويلة، ولم يكن له حضورًا في عالم الأقوياء، بل كان ضعيفًا ومنبوذًا، تفوح منه رائحة الفساد والتلوث، حتى أصبحت طيور الأرض ونباتاتها وكائناتها الحيّة تكرهه."

بشاعة اليهود في شعر إقبال:

وفي لوحة فنية أخرى، يصف إقبال بشاعة اليهود وخبثهم قائلاً: "طردوا الذباب والبعوض والجراد من بيوتهم، بعد أن زرعوا الكراهية والبغضاء بينهم، وجعلوهم ينهشون بعضهم البعض، حيث أبعدوا الجراد القذر، ولكنهم استمروا في تصورهم الشنيع للاستيلاء على درة فردوس الأرض، وعزموا على أن يتزوجوا إياها رغم رفضها ونفورها منهم، الجراد يتلوى بفكرة الزفاف إليها، ويدعمه في ذلك التنين الأعمى الذي لا يعرف إلا لغة الدم والدمار، على الرغم من اندثار نفوذه وانهيار سلطته التي غابت عنها الشمس."

إن كلمات إقبال تنقل ببراعة صور الاستعمار الذي يهدد فلسطين وتنقد بلا رحمة المحتلين وأعمالهم الشنيعة. تبرز هذه العبارات قوة التعبير والتأثير في توصيف الظلم والظروف القاسية التي تعيشها فلسطين وشعبها[19].

يتضح من السياق السابق أن إقبال يربط الكيان الصهيوني بالجراد القميء، وبريطانيا بالتنين الأعمى الذي فقد سلطته وضعفت قوتها. فقد انحسر نفوذ الإمبراطورية البريطانية وتلاشت قوتها في أيام إقبال الأخيرة، وفلسطين تعتبر الفردوس الأرض المنسي الذي يسعى لصوص الأرض للاستيلاء على حرمته ودولته بالخداع والمؤامرة، في حين يغفل الناس عن ذلك.

كما نلاحظ أن إقبال يعتمد على عنصر الحكاية والرمزية، وهذا يجعل النص يلامس النفس ويحمل معانٍ عميقة، بدلاً من أن يلجأ إلى التحدث بشكل مباشر عن القدس وفلسطين بشكل واقعي. يقوم الأسلوب

الأول بإغراء القلوب وتعزيز الدلالة، ويستخدم تشبيهاته المتقنة والأساليب المجازية المحكمة. أما الأسلوب الثاني المباشر، فلا يناسب سمو الأدب والفن الأصيل[20].

إنه بالفعل أسلوب إقبال الذي يجمع بين الجاذبية والعمق، ويبرز الجمال والتعابير الفنية، ما يجعل النص يترك أثرًا قويًا في القلوب والعقول.

يقول في عبارة أخرى: لا تتصوّر أبدًا، أيها الجراد، أنني سأسمح لك بتحقيق خططك المنحرفة. أنت مخطئ ومغرور. لقد استعدت الآن وجمعت جنودي الطيور التي ستمزق ثيابك وتحطم عظامك وتنهش لحمك، الذي حتى كلاب الأرض لن تستطيع أكله بما فيه الكفاية لتسكت جوعها. أنا هنا لبرهة من الزمن أمام زيارتك المفاجئة للفردوس، ولكن في المرة القادمة سأتصدى لك، أيها الجراد الأحمق. لن يتركك العجائز في الأرض ينالون رضاك، فكيف يخطر في بالك أن درة الكون ستقبلك أو ستسعد بأن تستولي عليك وتغتصبك لكيانها ورسالتها في هذا الكون؟ أنت مغرور ومخطئ. هي ستقاوم وأنا سأحاربك.

يواصل إقبال بقوله: يحيط الجراد بدرة الأرض، ويتسلل بعضه إلى مساحاتها الشاسعة وحقولها المليئة بالثمار. يقيم على أراضيها قبورًا وكهوفًا يعشش فيها أفكاره المريضة وهواجسه الضاربة، ويحاول من حين لآخر إقناع نفسه بشرعية أفعاله وبأنه يستحق ذلك، وبأنه جنس مختار براق.الخنزير، رمز الشذوذ والفجور، قد زار الجراد في يوم من الأيام، وما زال الخنزير وفياً لوعده للجراد. أنتم ابنائي، وسأبني لكم دولتكم هنا في هذه الأرض، يوم تتمكنون من النمو والتمدد بدعم من الآخرين وباستخدام أموالهم، وعقول كل من يقف إلى جانبنا ضد هؤلاء الرعاع.

يتضح لنا من المقتطف السابق أن إقبال كان يعلم جيدًا ببروتوكولات حكماء صهيون وبالمؤتمرات الصهيونية العالمية التي أعلنت نيتها في إنشاء دولتها على أرض فلسطين. وقد رفض بشدة مجرد التفكير في هذه الأفكار، إذ اعتبر أن فلسطين هي أرض إسلامية عربية، وأنه لا يحق لأحد التنازل عنها أو التخلي عنها أو التفريط فيها لهؤلاء الرعاع اليهود.

السؤال الآن يتمحور حول ما إذا كان إقبال ما زال حيًا بيننا اليوم. وعذرًا لعدم الإجابة، إذ يدرك القارئ بالتأكيد ما هي إجابة إقبال في ظل التطورات الحالية والتحديات التي تواجه قضية فلسطين[21].

مستقبل الإسلام مرتبط بمستقبل العرب:

يعتبر الشاعر والفيلسوف الراحل – رحمه الله – أن مستقبل الإسلام مرتبط بمستقبل العرب، وأن استقرار العرب يعتمد على وحدتهم. يعتقد أن المسلمين سيحققون النجاح إذا توحد العرب وعملوا معًا. لذا، يجب علينا جميعًا أن نبذل قصارى جهودنا لتحقيق هذا الهدف. إن الله – سبحانه وتعالى – سيمنحنا النصر والتفوق في هذا السبيل.

قد ألقى هذه الكلمات في القدس الشريف، حيث سافر من الهند للمشاركة في المؤتمر الإسلامي العالمي في ديسمبر 1931. في تلك الفترة، كانت معظم البلدان العربية تحت الاحتلال الأجنبي، وكانت هناك تهديدات واضحة باغتصاب فلسطين من قبل اليهود. كان محمد إقبال – رحمه الله – يشعر بالقلق إزاء المؤامرات الغربية، وكان ينتقد سذاجة بعض القادة العرب الذين يعتمدون على بريطانيا وفرنسا. في قصيدته القوية، كان ينصح العرب المسلمين قائلاً: "أيها الغافل، لماذا تعول على الإفرنجي الغاصب بالرحمة واللطف؟ ألا تدري أن قلب الصقر لا يهتم بطائر يسقط بين مخالبه؟."!

بهذه الكلمات العميقة، يعبّر محمد إقبال عن ثقته في قوة وحدة العرب وضرورة التصدي للتحديات التي تواجه الأمة الإسلامية. يجدد دعوته للعمل المشترك والتضحية لتحقيق النجاح والتفوق، على أمل أن يمنحهم الله النصر والتمكين في مسيرتهم المستقبلية[22].

خلال العشر سنوات الأخيرة من حياته، أمضى محمد إقبال – السياسي البارز في شبه القارة الهندية والمفكر المطلع على أحداث العالم – وقتًا طويلاً يكشف خطط الاستعمار التي تستهدف المسلمين في جميع أنحاء العالم، ولاسيما في فلسطين. كان يرتفع صوته بتحذيراته من تلك الخطط، وينبه العرب إلى المخاطر التي تهددهم، على الرغم من البريق الزائف للشعارات التي ترفعها الدول الغربية بحيلة ومكر، بهدف تجنب غضب المسلمين ومقاومتهم لبرامجها الفاسدة المدمرة التي تتباهى بقيم الحرية والتقدم والمدنية.

في هذه الفترة المهمة، كان محمد إقبال يعمل بجدية وتصميم لكشف المخططات الاستعمارية وإشعار العرب بضرورة اليقظة والتصدي لتلك التحديات المحدقة. رغم العبقرية الاستعمارية في تمويه نواياها، فإنه كان يسعى جاهدًا لإظهار حقيقة هذه البرامج الفاسدة وما تحمله من تدمير وتهديد لقيم الحرية والتقدم. كانت رؤيته حادة وواضحة، وكلماته تنبع من قلب مليء بالحنان للأمة الإسلامية واهتمامها بالمستقبل.

باستناده إلى تحليله العميق للأحداث العالمية وتوجيهه الحكيم، حاول محمد إقبال تنبيه العرب إلى حقيقة تلك المخاطر المحدقة بهم. كان يدرك أنه يجب على العرب أن يكونوا وحدة ويستعينوا بقوتهم المجتمعية لمواجهة تلك القوى الاستعمارية المتمثلة في الدول الغربية. تجدر الإشارة إلى أنه كان يتعامل مع هذه القضية بصدق ووضوح، ويوجه نداءً شجاعًا إلى العرب للصمود والنضال من أجل الحرية والعدالة.

دعوته إلى إحياء قيم الحرية والعدالة والكرامة:

يعكس تفكير محمد إقبال رؤيةً عميقةً وثاقبةً للمستقبل، والتي تعزز أهمية التضامن والعمل المشترك بين العرب والمسلمين لمواجهة التحديات الكبيرة. إنه يحذر من أفكار المستعمرين ويدعو إلى إحياء قيم الحرية والعدالة والكرامة في مجتمعنا. فيقول – رحمه الله – في شعرٍ ترجَمَه عبدالوهَّاب عزَّام:

مَـرْحَـى لِحَـانَاتِ الْـفِـرِنْـجِ فَـقَـدْ مُـلِـئَـتْ بِهِـنَّ زُجَـاجـهَـا حَـلَـبُ

إِنْ فِي فِلَسْطِينَ الْيَهُودُ رَجَتْ فَلَيَأْخُذَنْ إِسْبَانِيَا الْعَرَبُ
لِلْإِنْجِلِيزِ مَقَاصِدٌ خَفِيَتْ مَا أَنْ يُرَادَ الشَّهْدُ وَالرُّطَبُ(23)

كان محمد إقبال، السياسي والمفكر المرموق في شبه القارة الهندية، يحذر من تداعيات نقل الغزاة عاداتهم الفاسدة إلى الشام ويتنبأ بالتأثير السلبي على الأمة الإسلامية. كان يرد على الإنجليز الذين يدّعون لحق تاريخي لليهود في فلسطين بأنه إذا كان الأمر يتعلق بالتاريخ، فإن العرب يمكنهم أيضًا أن يطالبوا بإسبانيا، حيث حكموها لمدة ثمانية قرون وأسسوا فيها حضارةً راقية وازدهرت بها الأديان المختلفة.

كان إقبال مهتمًا بشكل خاص بقضية فلسطين وكشف عن دسائس اليهود، وعلى الرغم من وفاته قبل تقسيم فلسطين بعشر سنوات، إلا أنه كان يدرك حجم المشكلات المتنامية والمتصاعدة في المنطقة. كان يشهد على استشهاد المسلمين وقتل نسائهم وأطفالهم، وتفرق دماؤهم في القدس، وكان يشير إلى أهمية المسجد الأقصى ومكانته الدينية في الشريعة الإسلامية، ورفض بشدة المطالبات الزائفة لليهود بامتلاك جزءٍ منه.

كما كان ينبّه إلى تصاعد النفوذ اليهودي في أوروبا، ويرصد آثار الرفاهية الزائدة والتجارة السائدة في الغرب، لكنه يؤكد أن القلوب لا تزال مُظلِمة بسبب الاضطرابات الداخلية والمشاكل الاجتماعية. وبناءً على تحليله الدقيق، يتنبأ بانهيار الحضارة الغربية في عمرها الشاب، وأن اليهود قد يتولون الهيمنة على الكنيسة والمسيحية.

إن هذه الكلمات المقتضبة والنابضة بالحقيقة تعكس إدراك إقبال للتحديات التي تواجه المسلمين وضرورة الصمود والتصدي للأعداء والدفاع عن المبادئ الإسلامية والعروبية في وجه المخاطر المحدقة.

أثر اليهود في المجتمعات الغربية:

صدَق محمد إقبال؛ فقد تجاوز اليهود حدود التأثير في المجتمعات الغربية، حيث اندمجوا في كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية. ولم يكتفوا بذلك، بل بلغوا حتى سيطرتهم على الكنيسة نفسها، حتى بدأت تعتذر لهم وتبرّئهم من تهمة قتل السيد المسيح، وتتبنى قضاياهم وتدافع عن باطلهم بكل قوة.

إن هذا التحليل الحاد والصادق لإقبال يظهر الوعي بمدى تأثير اليهود وقدرتهم على التلاعب بالمشاعر والمواقف الدينية في المجتمعات الغربية. وهو يحذر من خطورة هذا الوضع وضرورة التصدي له بقوة وإصرار للحفاظ على المبادئ والقيم الحقيقية[24].

ويقول في الموضوع نفسه شعرًا ترجَمَه له عبدالوهَّاب عزَّام:

لاَ يَزَالُ الزَّمَانُ يَصْلَى بِنَارٍ لَمْ تَزَلْ فِي حَشَاكَ دُونَ خُمُودِ
لاَ دَوَاءَ بِلَنْدَنٍ أَوْ جنيوا فَوَرِيدُ الْفِرْنِجْ بِكَفِّ الْيَهُودِ

وَمِـنَ الـرِّقِّ لِـلشُّـــعُـوبِ نَجَـاةٌ قُـــوَّةُ الـــذَّاتِ وَازْدِهَـــارُ الْـــوُجُـــودِ[25]

هذا المسلم ينظر إلى قضية فلسطين كجزء لا يتجزأ من دينه، ويعتبرها مسألة عقدية تحمل على عاتقه واجب النصرة والتضحية، بغض النظر عن جغرافيته وبُعده الجغرافي عنها. وهذا الرباط الديني الذي يتجاوز حدود العرق واللغة والقومية يدفعه للكتابة قائلاً: "إن مشكلة فلسطين لها تأثير كبير في نفوس المسلمين، وأنا شخصياً مستعد أن أذهب إلى السجن من أجل قضية تؤثر على الإسلام. فوجود قاعدة غربية على بوابة الشرق يشكل خطراً كبيراً جداً[26]."

هكذا اندمج حبه لفلسطين بدافع ديني ورؤية سياسية دقيقة تعرف تفاصيل المخطط الغربي، وتتنبأ بمستقبل محفوف بالخطر يهدد الشرق الإسلامي بأكمله، ومن لهذه الأخطار المحدقة؟ ويقول – رحمه الله –: "إنني لست خائفاً من أعداء الإسلام قدر ما أخاف على المسلمين من أنفسهم. ينبغي على العرب أن يدركوا أنهم لا يمكنهم الاعتماد على من لا يمتلك الكفاءة والقدرة على صنع قرار حول قضية فلسطين بحرية في التفكير واستقلالية الضمير. يجب أن يتخذ العرب كل قرار بناءً على دراسة شاملة للمشكلة التي يواجهونها[27]."

إن واقع الأمة العربية الحالي، وكأنها لم تتلقى هذا التحليل الواعي منه، ولم تتنبه للخطر الذي يتهددها، ومازالت في نقطة الصفر، كما لو أنه لم يخاطبها بهذه الرؤية. قد قال هذا – رحمه الله – قبل تقسيم فلسطين واحتلال الضفة الغربية والقدس وغزة، وأجزاء من البلدان العربية المجاورة... ثم حدث التقسيم والاحتلال، لكن لم يحدث الوعي لدى الأنظمة الحاكمة ولا النخب الفكرية المغتربة.

زيارته فلسطين:

عندما زار فلسطين في 1931، أثرت مشاعره وكتب قصيدة مليئة بالحرقة والحماسة لأرض النبوة والمقدسات، ومن الكلمات التي قالها في تلك القصيدة:

نزلـت ببريـة الوادي بـذي سـلم والشـمس ترتـع بـين البـان والعـلم
وفـاح ريح صـباح من مواجـدهـا تشـفي العليـل من الأوصـاب والسـقم
بـنـظـرة لجـمـال الـوادي واحـدة تـقـحـم الـقـلـب مـنـهـا ألـف مـقـتـحـم
وللمسـاء سـحاب من غلائلها حمـراء زرقـاء مـن ورد ومـن عـنـم
ألقـت براقع مجلاهـا على إضـم و أومض البرق في الظلماء من إضـم
نقية الخد سـعف النخل مشـرقة مـرفـوعـة الـراي تحـكـي رفـعـة الـقـمـم
والرمـل كـالخز في أرجـاء كـاظمـة يمـوج فـيـهـا بمـا في الخـز مـن عـمـم

هنا بقيّة أطلال، هنا لهب يذوي، هنا بضع أشلاء من الشيم
كم خلف ليلى ركاب من هنا عبرت و عضّ من لغب نضو على لجم
هم أقاموا سكارى هاهنا زمنًا فإن رضيت بسكر هاهنا أقم
يرى هنا من نأت عنه أحبته سلوه، ويهيج الرجد بالشبم[28]

هكذا تعالى محمد إقبال على انتمائه القومي واللغوي، وناصر القضية العربية، وفي مقدمتها فلسطين، بفضل انتمائه الإسلامي. قد خاطب وكتب، وألقى الأشعار وأشعل الحماس، ورفع صوته بالتحذير والتحليل. ودعته فرنسا لزيارة مستعمراتها في شمال إفريقيا، وكان آنذاك شخصية إسلامية عالمية محبوبة في الغرب. ولكنه رفض ذلك، وذكر الفرنسيين بجرائمهم في الشام قائلاً: "إن هذا ثمن بخس لإحراق دمشق".[29]

قضية القدس هي قضية مقدسة ومن الطبيعي أن تكون حاضرة في الآداب والفنون الإسلامية. وتظهر بشكل أولوي في الأدب الفلسطيني، سواء في الشعر والرواية والقصة والنقد. وتتجلى أيضًا في أعمال الأدباء الإسلاميين من المشرق والمغرب.

ومن بين الذين اهتموا بقضية فلسطين، التي لا تزال حقيقية وحية، هو الشاعر الإسلامي محمد إقبال. وعلى الرغم من أن الشاعر الهندي الكبير ومؤسس دولة باكستان لم يشهد نشوء السرطان الصهيوني في جسد الأمة، إذ توفي في عام 1938 قبل عشر سنوات من قرار الأمم المتحدة المؤلم بتقسيم القدس، إلا أنه أظهر اهتمامًا كبيرًا بفلسطين. كأن رؤيته الشعرية وحكمته الأدبية تفتحان له بابًا خفيًا يُمكنه من رؤية مستقبل فلسطين وما ينتظر العالم الإسلامي من محن.

وهكذا وجدنا لديه عددًا من القصائد والمقاطع التي تتناول قضية فلسطين بشكل خاص والشرق الإسلامي بشكل عام.

لقد لاحظ إقبال أن الاستعمار الغربي قد خدع الدول الإسلامية وفرض سيطرته عليها تحت أسماء مشوّقة مثل "الانتداب" و "الحماية"، وهي تسميات زائفة. فهو يكشف هذه الأسماء الزائفة قائلاً: "فإنها ثياب زور"[30].

مَلَكُ الحضارة أين يُحْتَمُ سيْرُه؟ في عصرنا هذا السؤال يسيرُ
في حيثُ لا خمْرٌ، ولا قَمْرٌ، ولا ضيقُ الثياب على النساء يجورُ
والرّوحُ في بدنٍ قويٍّ خافقٌ لكنْ على سَنَنِ الجُدود يسيرُ
حيث المدارسُ غائض ينبوعها وابن البداوة في الذكاء جَسورُ
يُفْتي جَهابذة الفرنجة أنّما هذي البقاع من التمدّنِ بورُ[31]

في هذه العبارة، يفضح محمد إقبال الاستعمار الغربي ودعواه الزائفة لتمدين الشعوب الإسلامية بدعوى تحسين أوضاعها والتحضير لها. يُظهر إقبال النقاب عن هذه الدعوى المغلوطة التي استخدمها المستعمرون لاستثمار طموحاتهم الاستعمارية. يُسلط الضوء على احتضان البلاد العربية لثورة ضد الحكم العثماني التي تم تحريضها من قبل الغرب، وأدت في النهاية إلى نهاية الدولة العثمانية وفتح باب الاستعمار الغربي لاحتلال الأراضي العربية.

هذه العبارة تعبر عن رؤية إقبال للتاريخ والسياسة، وتؤكد على ضرورة التوعية بمخططات الاستعمار وعدم الوقوع في فخ الأفكار الخادعة التي تُعرض على الشعوب بهدف السيطرة عليها ونهب ثرواتها ومواردها. كما تؤكد على أهمية الحفاظ على الهوية والثقافة العربية والإسلامية ومقاومة الاستعمار بكل قوة وإصرار.

أمانتها عالت عن كل ريب وإقبالٌ مقرٌ مُقرٌّ دون نُكر
فأوروبة نصيرة لكل شعب تشكي الدهر من ظلم وضر
كراماتُ القساوسِ أن أضاءوا سراجَ الكهرباء بكل فكر
ولكن من فلسطين بقلبي وللشام الكسيرة حرّ جمر
وتلكم عقدةٌ ليست لحلّ تلاقي كل تدبير بعُسر
من الترك الجُفاة نجوا فلاقَوا بأشراك التمدن شر أسر[32]

المكر الغربي:

يغوص محمد إقبال في أعماق المكر الغربي، عندما ينصح (لورد) البريطاني نجله بالطريقة اللينة التي يمكن بها استعباد الشرق وتوجيههم إلى الاتجاه الذي يرغبون فيه. يخبره أن السيف وحده لا يكفي لترويضهم، ولكن السياسة والدبلوماسية اللينة هما الطريقة الصحيحة. يذكره أنه من الظلم أن تُفرض على الأمم الضعيفة والمستضعفة، وهي الأمم الشرقية، طرق القوة والاستعباد. ويعتبر أن أسهل طريقة لترويض الشعوب هي السيطرة على "التعليم"، من خلاله يتم تشكيل الجيل المطلوب وصياغة النفوس على النحو المرغوب، تماماً كما يشكل الخزاف الطين تحت يديه أو النحات يصاغ الحجر. فيقول:

قَالَ لُرْدٌ مِنَ الفَرَنْجِ لِنَجْلٍ أبغِ مَرَأَى يَدُومُ فِيهِ المِرَاد
أَظْلَمُ الظُّلْمَ لِلْمَسَاكِينِ إِعْلَامُ خِرَافٍ شَرِيعَةُ الْآسَاد
إِنَّ لِلْمَلْكِ سِرَّهُ فَاكْتَمَنْهُ لا تُرُمْ بِالسُّيُوفِ قَهْرَ الْعِبَاد
وَبِحَمْضِ التَّعَلُّمِ فَاغْمَسْ نَفُوسًا ثُمَّ صُغْ طِينَهَا وَفَاقَ الْمَرَاد[33]

و تَوقّع إقبال انهيارَ عصبةِ الأمم التي لَمْ تَستطع دفع ظلم، وَلا رَدَّ حقّ لأصحابه، فقال:

مَسْـــكِينَـةٌ مُنْـذُ زَمَـانٍ تَحْتَضِـــرْ لا فَـائِـهَ مُـقْـبِـلِـي بِسَـــــيِّءِ الْخَـبَـرْ

وَمَـوْتُـهَـا مُحَـتَّـمٌ لَـكِـنَّـمَـا يَـدْعُـو الْـقُسُـــوسُ أَنْ يَـزُولَ ذَا الْخَـرْ

عَـجُـوزُ أُورُوبَّا يَجُـوزُ عِـيشَـــهَـا عَـلَـى رُقَـى إِبْـلِـيـسَ أَيَّامًـا أُخَـرْ[34]

ويفضح إقبال مكر الإنجليز في فلسطين والعالم العربي، وينفي دعوى اليهود لامتلاكهم حقًا في فلسطين، وإلا فإن العرب لهم الحق في استعادة إسبانيا – الأندلس المفقودة. يُظهر إقبالٌ منذ البداية تحذيره للمسلمين عمومًا والفلسطينيين خصوصًا من الحيلة التي تُريد استخدامها ضدهم، ومن تسليم الإنجليز للأرض المقدسة لليهود بدعوى مرورهم بها في يومٍ ما. ومن المعروف أن الشاعر الفيلسوف يعبّر عن أفكاره بأسلوب رمزي وبمعانٍ استعارية تتناسب مع طبيعة الشعر والفلسفة. دعونا نلقي نظرة على هذه الأبيات ونتأمل في الجمال الدلالي الذي تحمله واللطافة التي تتضمنها.

وما تبقى من خصائص الأمة، ودينها، وشرفها وكرامتها، قد تلاشت في حانات الفرنج. الرؤية الظاهرة تشير إلى غرق حلب في الخمر والترفيه، وتنسيانها لدينها. ولكن المعنى العميق يتجاوز ذلك، فحانات الفرنج تمثل تخلي الأمة عن قيمها وثقافتها، وتبنيها لعادات المجتمع الغربي كدليل على الحضارة، مع فقدان هويتها الحقيقية.

يتجلى أهمية الشخص الذي يتلقى الخطاب في أنه ليس سوى إنسان مسلم قد استودعه الله تعالى بالرسالة والأمانة. يتحمل هذا الشخص مسؤولية نقل الرسالة إلى الناس وتبليغها لهم. وكل تقصير أو غفلة في أداء هذه المهمة تكون على عاتقه ومسؤوليته. المسلم يحمل دائمًا داخله نارًا لا تنطفئ، تشتعل بين جنبيه، فهي نار مقدسة تهديه إلى طريق الرشاد والصواب. يجب عليه أن يصبر على لظاها وأن يتحملها لكي لا تنطفئ ولا تضعف. إنها نار الحق التي تمكنه من صدها وتحقيق العدالة في مواجهة خصومه. وللأسف، يقوم المسلم في بعض الأحيان بالبحث عن العلاج والحلول عند أولئك الذين هم سبب الأذى والمشكلة. الفرنجة، الذين رمز إليهم الشاعر بـ"لندن وجنيف"، لا يمتلكون القدرة حتى على السيطرة على أنفسهم، بل هم مسيطرون عليهم ومتحكمون فيهم بواسطة اليهود. الظاهر يبين أن الفرنجة هم الحكام، لكن الحقيقة هي أنهم أيضًا محكومون ومستعبدين، فكيف يمكننا أن نتوقع منهم الدواء والخلاص؟ إن نجاة المسلم وخلاصه ليسا في أي شيء سوى في "قوة الذات"، هذه القوة التي بنى عليها الشاعر محمد إقبال ديوانين مهمين، هما: "أسرار خودي = أسرار الذات" و"رموز بي خودي = رموز نفي الذات". المؤمن لا ينكر وجوده وذاته إلا أمام الله، وفيما عدا ذلك، يجب عليه أن يثبت وجوده وأن يكون حاضرًا بقوة. فهو نور للعالم ومنقذ للبشرية. لذا يجب أن يدرك ذلك وأن يعتني بذاته. تتميز ذات المسلم عن غيرها بأن لباسها، الذي يتلازم

مع لحمها وعظمها ولا ينفصل عنها، هو الحب. وإذا تخلى المسلم عن هذا الحب الإلهي، فإنه يفقد ذاته وينزل إلى أدنى المستويات ولا يجد طريقة للخلاص إلا من خلال استعادة هذه الطاقة الإلهية، طاقة الحب.

نتائج البحث:

الشيخ الندوي ومحمد إقبال على الرغم من اختلاف أساليبهم وخلفياتهم، فإنهما يشتركان في التأكيد على أهمية القضية ودورها الكبير في توحيد الأمة العربية والإسلامية. يمكن استخلاص بعض النتائج من المقارنة:

1. الطابع الديني والفكري: كلا الشيخ الندوي ومحمد إقبال يريان قضية فلسطين على أنها أكثر من مجرد صراع أراضي، بل ترتبط بالقيم والسلوكيات الإسلامية. يؤكدان على أهمية تحصين الأمة بالقيم الدينية لمواجهة التحديات.

2. الوحدة الإسلامية والعربية: الشيخ الندوي ومحمد إقبال يركزان على أهمية تحقيق الوحدة بين الدول العربية والإسلامية لمواجهة تداعيات القضية والتحديات الاستراتيجية والسياسية.

3. الانحراف عن القيم: الشيخ الندوي ومحمد إقبال يتفقان على أن الإخفاقات العربية تأتي نتيجة للانحراف عن القيم الإسلامية والأخلاقية، ويشددان على ضرورة تصحيح المسار واستعادة القيم.

4. التداعيات الخطيرة: الشيخ الندوي ومحمد إقبال يحذران من تداعيات خطيرة للقضية الفلسطينية، ويشددان على أنها تتطلب فهمًا عميقًا للأوضاع وتحركًا سريعًا.

5. رفض التهويد والاستيطان: كلاهما يعبران عن رفضهما للتهويد والاستيطان الصهيوني في فلسطين، ويستنكران محاولات الاستيلاء على الأرض والأماكن المقدسة.

6. التأثير الثقافي والأدبي: يستخدم محمد إقبال بشكل خاص أسلوبه الشاعري للتعبير عن مواقفه وانتقاداته للصهيونية والاستعمار، مما يجعله شاهدًا فعّالًا على مساهمته في نضال فلسطين.

بشكل عام، يتضح أن الشيخ الندوي ومحمد إقبال يتقاربان في وجهات نظرهما حول قضية فلسطين، حيث يركزان على أهمية تعزيز الوحدة واستعادة القيم لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة. تظهر المقارنة أن هؤلاء العلماء والفلاسفة كانوا على قناعة بأهمية دعم القضية ونشر الوعي بالظلم الذي يمارسه الاستعمار والتهويد في فلسطين.

المصادر والمراجع

[1] **الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين، دار ابن كثير دمشق، ط1، 2008م. ص 50**

[2] **الندوي، أبو الحسن على، في مسيرة الحياة، دار القلم دمشق، ط2، 2013. ص 239**

[3] **الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين، دار ابن كثير دمشق، ط1، 2008م. ص6-7**

[4] **المصدر نفسه.**

[5] الندوي، أبو الحسن على، مذكرات سائح في الشرق العربي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط3، 1978م. ص 258

[6] الندوي، أبو الحسن على، في مسيرة الحياة، دار القلم دمشق، ط2، 2013. ج1. ص 239-240

[7] الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين، دار ابن كثير دمشق، ط1، 2008م. ص 112

[8] المسلمون و قضية فلسطين، ص 26-27. و "في مسيرة الحياة". ج1. ص 241

[9] الندوي، أبو الحسن على، عالم عربي كا أليه، في اللغة الأردية. مجلس نشريات إسلام. ط1، 1980م.ص 53

[10] الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين. ص 63-65

[11] الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين، ص77. و عالم عربي كا أليه.ص 54

[12] المصدر نفسه.ص 42

[13] هو سعد بن ناشب هو من بنى العنبر، وكان أبوه ناشب أعور. وكان من شياطين العرب. وله يوم الوقيط، وهو يوم كان فى الإسلام بين تميم وبكر بن وائل.(كتاب الشعر و الشعراء لابن قتيبة، الجزء الثاني، ص 696 ط.2. 1967م.

[14] الخطيب التبريزي، ديوان الحماسة لأبي تمام، دار الكتب العلمية بيروت، ج1 ص 59-60

[15] الندوي، أبو الحسن على، مذكرات سائح في الشرق العربي، ص 260

[16] الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين. ص 75

[17] المصدر نفسه. ص 74

[18] الندوي، أبو الحسن على، المسلمون و قضية فلسطين.ص 42

[19] المصري، حسين مجيب، القدس و فلسطين في أدبيات إقبال، موقع رابطة أدباء الشام تعني بقضايا الأدب و الإنسان.2013م.

[20] المصري، حسين مجيب، القدس و فلسطين في أدبيات إقبال، موقع رابطة أدباء الشام تعني بقضايا الأدب و الإنسان.

[21] المصري، حسين مجيب، القدس و فلسطين في أدبيات إقبال، موقع رابطة أدباء الشام تعني بقضايا الأدب و الإنسان.2013م.

[22] الندوي، أبو الحسن علي، روائع إقبال، مجلس نشريات إسلام، ص 133

([23]) الغوري، عبد الماجد،ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة. ج2 ص 119

[24] إبراهيم، سمير عبد الحميد، إقبال و العرب، مكتبة دار السلام. ص 60

[25] الغوري، عبد الماجد،ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة. ج2 ص 121

[26] إبراهيم، سمير عبد الحميد، إقبال و العرب، مكتبة دار السلام. ص 62

[27] المصدر نفسه: ص 63

[28] الغوري، عبد الماجد،ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة. ج1 ص 499-500

[29] أ.د. أحمد حسن فرحات، أصداء التزكية القرآنية في شعر محمد إقبال، مجلة رابطة أدباء الشام، عدد 874، 2020م.

[30] كحيل، عبد العزيز، هم فلسطين و العرب عند محمد إقبال، موقع الآلوكة الثقافية.

[31] الغوري، عبد الماجد،ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة. ج2 ص 116-117

[32] نفس المصدر. ج2 ص 117

[33] الغوري، عبد الماجد،ديوان محمد إقبال الأعمال الكاملة: ج ص 118

[34] نفس المصدر: ج ص 119